



عبر استراتيكية الفاءات الثلاثة (Triple-F)..
هل توقع الصين بالولايات المتحدة في
“فخ ثيوسيديس”



أنس القصاص

خبير في الشؤون الدولية والاستراتيجية وقضايا الحرب والسلام



قيل أيام من انعقاد منتدى جزر المحيط الهادئ، قررت السلطات في دولة كيريباتي الانسحاب من هذا المنتدى الذي يعتبر أحد أدوات الاستراتيجية الأمريكية في المحيط الهادئ؛ وهو ما اعتبر ضربة قوية للوجود الأمريكي في الباسيفيك في ظل القبول المبدي من قبل السلطات في تاراوا بتوقيع اتفاقية مع بكين لاستخدام مطار كانتون الذي ظل لعقود مهبط حصري لطائرات سلاح الجو الأمريكي.

هذا الموقف من قبل كيريباتي التي تعتبر أقرب جزر المحيط الهادئ للأراضي الأمريكية في هاواي، يشكل نقطة فارقة في الأزمة التي يواجهها النفوذ الأمريكي في المحيط الهادئ، وضربة في مناطق واشنطن المؤمنة منذ قرابة 8 عقود؛ لكن الأخطر من ذلك أنها تأتي في سياق استراتيجية صينية متعددة المحاور للالتفاف على محاور النفوذ الأمريكي في المحيط الهادئ، لاسيما وأنها تأتي بعد توقيع جزر سليمان لاتفاقية تعاون عسكري مع الصين، مع محاولات صينية أخرى مع فيجي وفانواتو والتي تشكل جميعها خطرا داهما على النفوذ الأمريكي في قلب الهادئ وتهديدا مباشرا للأمن القومي لأستراليا التي تعتبر أحد أهم الأركان في استراتيجية الانتشار الأمريكي في المحيط الهادئ.

لكن الأهم من كل ذلك أن هذه المحاولات الصينية تأتي في سياق تطور للاستراتيجية العظمى لبكين بدأتها في محاولات فرض سيادتها عبر البحار الإقليمية. وحيث أن هذا المستهدف يسير بشكل بطيء لشدة وطأة الحصار المفروض على الصين في بحارها الإقليمية (البحر الأصفر وبحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي) عبر قوس أمني محكم يتخذ شكل المنجل، فقد قامت بكين بتوسيع نطاق المواجهة بمقارعة الأمريكيين بعيدا عن بحارها الإقليمية في مياه المحيط الهادئ الزرقاء البعيدة، من أجل حجز مكان لها في مناطق أعالي البحار التي تحدد منذ عقود قواعد النظام الدولي القائم. يأتي ذلك في ظل خطة الجاهزية القتالية للجيش الصيني لغزو تايوان بحلول عام 2027 وفقا لبيان للجيش التايواني في هذا الخصوص.

في ظل هذه المحاولات الدؤوبة لبكين، هل ستتمكن الاستراتيجية الصينية من كسر قرن وربع من النفوذ الأمريكي في المحيط الهادئ وثمانية عقود من الهيمنة المطلقة في تلك المنطقة والتي تم تسخيرها مؤخرا لحصار الصين؟ وما أبعاد ومستويات ودوافع الحصار الأمريكي للصين؟ ولماذا أصبح المحيط الهادئ الأولوية الأمريكية الأولى مع بداية العقد الثاني من القرن الحالي؟ وهل ستتمكن الصين من كسر قواعد النظام الدولي الحالية والإيقاع بالولايات المتحدة في «فخ» محتوم لمواجهة عسكرية من أجل تحديد شكل النظام الدولي القادم؟ وهل تسمح القوة الصينية الحالية بتفكيك التحالف الأمريكي الذي يشبه رؤوس الهيدرا في المحيط الهادئ؟ ومتى يتمكن الصينيين من القيام بتلك الخطوة؟

الإجابات على كل هذه الأسئلة تقودنا إلى الإجابة على أسئلة لاحقة: هل تفلح بكين في تغيير قواعد النظام الدولي وكسر السيطرة الأمريكية؟ أم أن الولايات المتحدة ستفعل من هذا الفخ وتحقق الاستثنائية الأمريكية التي يتم التبشير بها منذ قرن ونصف؟

في المقابل، هل تمر الولايات المتحدة في الوقت الحالي بلحظة «فرنسا 1939» حيث تقفز واشنطن إلى قعر «فخ محتوم» تنصبه بكين؟ أم أن الحزب الشيوعي الصيني هو من يمر بـ «نشوة فيلهيلم الثاني» وسرعان ما سيفيق على كارثة؟

طبيعة ودوافع الوجود الأمريكي في المحيط الهادئ

تأسس النفوذ الأمريكي الحالي في المحيط الهادئ على أسس وديناميات إقليمية بعضها أقدم من القواعد التي تؤسس النظام الدولي الحالي. وأي محاولة للتعاطي مع هذا الوجود من باب كونه أحد إفرازات النظام الدولي القائم على قواعد الحرب العالمية الثانية هي محاولات ستؤدي إلى نتائج مضللة في كثير من الأحيان.

فمع نهايات القرن التاسع عشر، قامت الولايات المتحدة، وكجزء من تسويات الحرب الأمريكية الأسبانية، بضم جزر في المحيط الهادئ مثل الفلبين وجوام وهاواي ولاحقا ساموا الأمريكية استجابة لما يمكن إطلاقه بالهوية المتوازنة للولايات المتحدة مع تسارع عمليات النمو الصناعي والاقتصادي في ولايات الساحل الغربي على المحيط الهادئ وتيقن الساسة في واشنطن من عدم رشادة التمرکز على الساحل الشرقي وضرورة الاندماج في الفراغ الذي خلفه الاضمحلال الأسباني والصيني في المحيط الهادئ.

ومع بدايات القرن العشرين، أصبحت الولايات المتحدة لاعبا أساسيا في المنطقة عبر هذه الجزر التي أصبحت بمثابة مواقع للقيادة الأمريكية المتقدمة Forward Command في المحيط الهادئ. لكنه، كما أن ذلك التمرکز المتقدم سمح بأن تضع الولايات المتحدة موطئ قدم في توازنات المحيط الهادئ، فإنه كذلك وضع واشنطن في مرمى نيران القوى المتطلعة لقيادة المنطقة، لا سيما اليابان.

فمع اشتعال الحرب في أوروبا واحتلال فرنسا في ربيع عام 1940، قامت حكومة فيشي الفرنسية التي كونتها سلطة الاحتلال النازي بمنح اليابان قواعد جوية وبحرية في إقليم الهند الصينية (فيتنام ولاوس وكمبوديا حاليا) الذي كانت تحتله فرنسا. جاء التواجد الياباني في الهند الصينية بمثابة إغلاق لمجال شرق آسيا من شماله إلى جنوبه في وقت كانت تسيطر فيه على بر الصين نتيجة للغزو الذي بدأ مع عام 1936 وما سبقه من احتلال لإقليم منشوريا وشبه الجزيرة الكورية التي أصبحت تسمى بكوريا اليابانية منذ الاحتلال الياباني عام 1910.

استشعرت الولايات المتحدة الخطر من تنامي القوة اليابانية، فقامت بفرض عقوبات على واردات النفط لليابان مع تجميد لأصول يابانية داخل الولايات المتحدة. على إثر ذلك، خططت اليابان للاستحواذ على مستعمرات جنوب الهادئ البريطانية والهولندية في سومطرة وسنغافورة من أجل الحصول على النفط والمطاط.

كانت السيناريوهات الأمريكية للمواجهة مع اليابان تنطلق جميعها من محاولة اليابان احتلال الفلبين التي كانت تحت السيطرة الأمريكية وكانت قريبة من البر الصيني الذي تسيطر عليه اليابان وكان موقعها يتسبب في إعاقة استراتيجية الإمدادات الجنوبية التي خطط لها

الجنرال توجو وحازت على موافقة الإمبراطور، لكن حسابات الأمريكيين باءت بالفشل. بدلا من ذلك، قامت اليابان بشن هجوم جوي على الأسطول الأمريكي المتمركز في بيرل هاربور بهاواي اختصارا للوقت وامتلاكاً لعنصر المباغتة لتحقيق المستهدف الاستراتيجي بالانتشار في المحيط الهادئ في الوقت الذي سينشغل فيه الأمريكيون بلملمة خسائرهم في ضربة بيرل هاربور.

وبالفعل قام اليابانيون بعد ضربة بيرل هاربور بغزو الفلبين وأسر ألوف من الجنود الأمريكيين الذين لم يتمكنوا من اللحاق بقائد القوات الأمريكية في الفلبين - الجنرال دوجلاس ماك آرثر - في انسحابه الكبير نحو أستراليا. بعد ذلك، قامت القوات اليابانية بالاستيلاء على المستعمرات البريطانية في هونج كونج وسنغافورة، مع إغراق قطع الأسطول البريطاني في المحيط الهادئ، إلى جانب احتلال المستعمرات الهولندية في سومطرة والملايو من أجل الحصول على الإمدادات الضرورية لضمان التوسعات الإمبراطورية المخطط لها.

بعد ذلك حاول اليابانيون خنق أستراليا التي اعتبروها أداة مهمة للمعسكر الأنجلو-ساكسوني في معارك المحيط الهادئ، وقاموا بشن هجمات على بابوا نيو غينيا وحاولوا السيطرة على جزر سليمان لكن محاولاتهم باءت بالفشل حيث عاد الأمريكيون إلى ميدان المعارك سريعا وتمكنوا من إعادة التموضع والتخلي عن موضع رد الفعل إلى المبادأة والمباغتة وكان النصر الأمريكي في المعارك البحرية في ميدواي وأيوجيما حاسما للوجود الأمريكي في المحيط الهادئ حتى يومنا الحالي.

ما الذي استوعبه مخططي الاستراتيجية الأمريكية عبر عقود من معارك المحيط الهادئ؟

حفرت معارك المحيط الهادئ أثرا عميقا داخل وعي مخططي السياسات والاستراتيجية الأمريكيين. وكان ذلك على مستويين:

الأول أن دول المحيط الهادئ تشكل خطرا ماديا على الأمن القومي الأمريكي وكلما تطورت التكنولوجيا العسكرية والمدنية كلما تفاقم ذلك الخطر. فعلى غير الشائع، فإن هجمات اليابانيين لم تتوقف وكانت هنالك محاولات لقصف بعض مدن الغرب الأمريكي المهمة مثل سياتل وسان دييجو، لكن سرعة امتصاص الضربة من قبل واشنطن وانهماكها السريع في معركة المحيط الهادئ قد خفف الوطأة عن ولايات الغرب الأمريكي. لذا، فإننا في هذا الإطار يمكننا فهم الحديث المتكرر في واشنطن مع بداية الصعود الصيني عن تفعيل لمبدأ مونرو في المحيط الهادئ في حال الإضرار بالأمن القومي الأمريكي أو محاولة تفكيك أو الإضرار بمنظومة التحالفات الأمريكية في المنطقة.



صورة ضوئية من إحدى الصحف الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية تحذر سكان الساحل الغربي الأمريكي من هجمات يابانية

الثاني أن اتساع مساحة المحيط الهادئ يصعب من مهمة أي قوة على السيطرة عليه وسيكون الفراغ أمرا محتوما طوال الوقت. ومقاومةً لذلك الفراغ، استعاد مخططي الاستراتيجية الأمريكيين استراتيجية كانت حبيسة الأدرج في الحرب العالمية الثانية وتم تطبيقها جزئيا في نهاية الحرب بعد غرق معظم أساطيل البحرية الإمبراطورية اليابانية في المعارك البحرية مع البحرية الأمريكية في ميدواي وأيوجيما وماريانا الشمالية. تقضي هذه الاستراتيجية بالتطويق البحري لليابان من أجل دفعها للاستسلام والتماس مع البر الياباني من أجل تنفيذ إنزالات برمائية عملاقة على طريقة إنزالات النورماندي من أجل السيطرة على البر الياباني وإسقاط حكومة الجنرالات وتأديب الإمبراطور. لكن هذه الخطة تم رفضها بسبب ارتفاع معدلات الخسائر المحتملة التي وصلت في بعض التقديرات لمقتل مليون جندي أمريكي. لكنه مع ذلك، تم إقرار الشطر الخاص بالتطويق البحري للجزر اليابانية في الاستراتيجية الأمريكية لإنهاء معركة المحيط الهادئ وطي صفحة الحرب العالمية الثانية.

مع انتهاء الحرب العالمية الثانية بأفول مهين لإمبراطورية الشمس المشرقة، لم يعد هناك من تحد بحري يذكر في المحيط الهادئ على مدى عقود، بسبب ضعف الموقف البحري للاتحاد السوفييتي في المحيط الهادئ الذي يطل عليه الاتحاد من ميناء فلاديفوستوك المتجمد معظم فصول السنة، وكذلك الصين التي كانت بالكاد تتلمس خطاها بعد تأسيس النظام الشيوعي الذي لم يكن جاهزا للحكم وظل لفترة غير قصيرة تحت عباءة موسكو التي لم تكن ترغب في تحديث القوة البحرية لبكين، خوفا من استقلال بكين عن الشيوعية الدولية ومناطحة موسكو وهو ما أصبح واقعا ملموسا بعد بضعة سنوات من تأسيس نظام ماو.

طوال فترة الحرب الباردة، ظلت الهيمنة الأمريكية على المحيط الهادئ أمرا مفروغا منه، باستثناء مناقشات صينية محدودة على مضيق تايوان من فترة لأخرى سرعان ما تخدم؛ حتى جاءت بداية السبعينات التي شهدت تطبيع للعلاقات بين واشنطن وبكين والاعتراف الغربي بعضوية بكين في الأمم المتحدة. وهذه الخطوة فتحت الباب لإدماج نظام بكين في المنظومة الدولية لاسيما بعد تدشين خطط الإصلاح الهيكلي على يد دينج شياوبينج في نهاية السبعينات من القرن الماضي.

السيطرة على الباسيفيك مفتاح قيادة النظام الدولي

في ظل التغيرات الهيكلية التي طرأت على الصين مع أواخر الثمانينات وتعاضمت مع دخول الألفية الجديدة مع مضاعفة بكين لنتاجها المحلي الإجمالي قرابة ست مرات في عشرين سنة، استشعرت الولايات المتحدة الخوف من ذلك التصاعد «الأسّي» المتسارع للدولة الصينية التي استغلت نظام العولمة أفضل استغلال وقامت الدولة بمراكمة عوائد رأسمالية في ظل اقتصاد لا يزال يسيطر عليه الحزب الشيوعي وبعض من آثار نظام التخطيط المركزي الذي تعتبر الدولة فيه محور النفوذ التنموي والمالي. لذا، فإنه مواجهه للخطر الصيني ومخاطر ضعف السيطرة على أعالي البحار التي تنامت مع اتساع التجارة الدولية منذ بداية التسعينات، فقد بنت الولايات المتحدة أسطولاً إضافياً من حاملات الطائرات لمساعدة واشنطن في الاستمرار في قيادة النظام العالمي الجديد المعتمد بشكل أساسي على الانتشار البحري؛ علما بأن حاملات الطائرات الأمريكية الإحدى عشر الحالية تم بناء 6 حاملات منها بعد عام 1990.

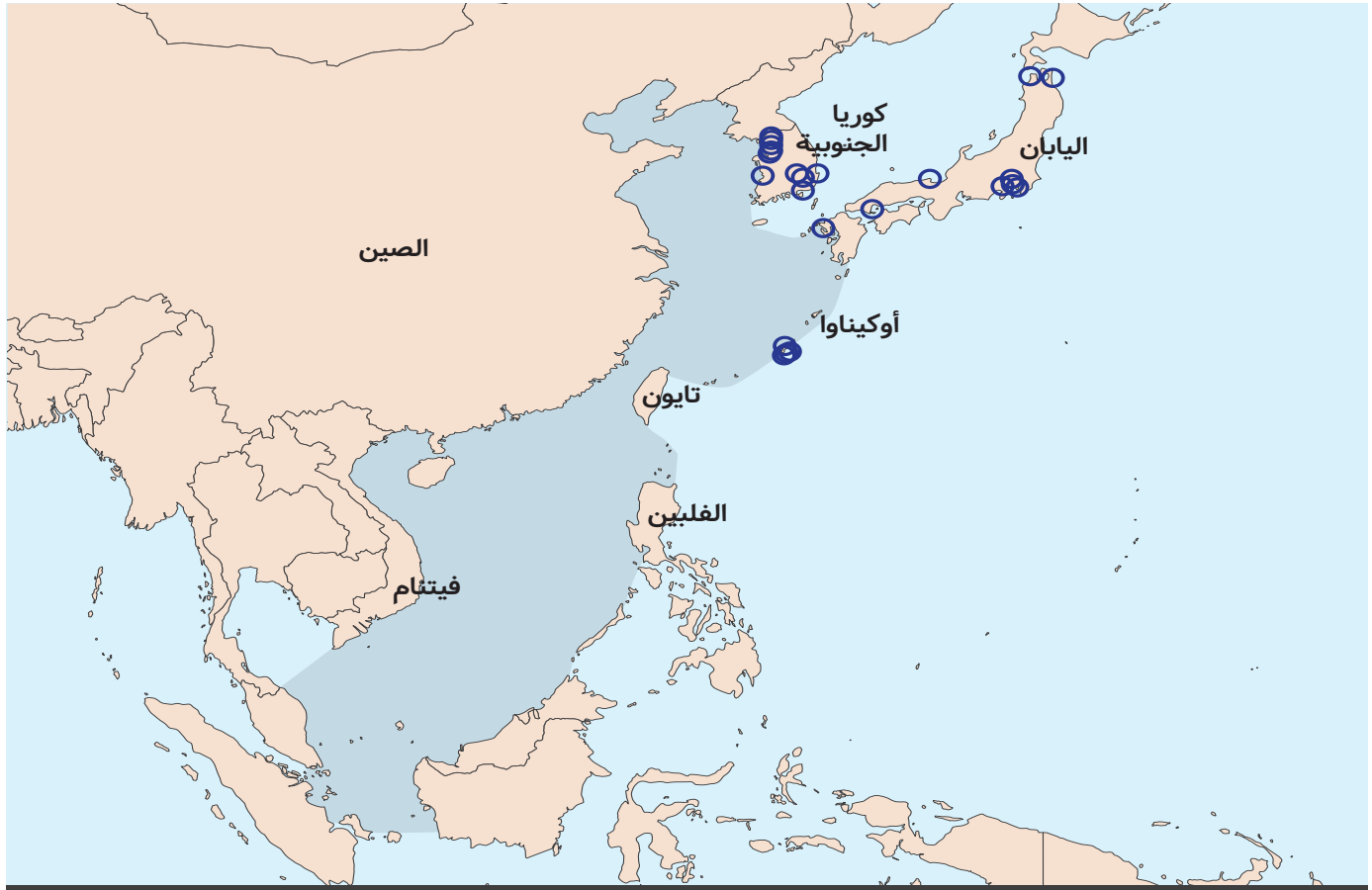
لأغراض السيطرة على النظام الدولي والاستباق محاولات قلب ذلك النظام، استعانت الولايات المتحدة بقواعد النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية الذي سمح لها بتواجد واسع المستوى في المحيط الهادئ وإعادة نشر هذا الحضور عالي المستوى ليصبح حصارا متعدد المستويات Multi-Layered Siege على القوة الصاعدة لبكين وعرقلة تقدمها المطرد. هذا الحصار العسكري، الذي يسير بالتوازي مع الكوابح الاقتصادية والسياسية التي تفرضها واشنطن على بكين من فترة لأخرى، يتم الاستعانة فيه بمعظم أسلحة الجيش الأمريكي بداية من فرق الرانجرز ومشاة البحرية مروّزا بتشكيلات البحرية وحاملات الطائرات وأسراب الغواصات والقوات الجوية والنقل الاستراتيجي إلى جانب القوات الاستراتيجية وقوات المظلات وقوات الدلتا والقوات بعيدة المدى وفرق الاستخبارات وحتى القوة الفضائية.

ويمكن توصيف هذا الحصار فيما يلي:

1 حصار بحري متقدم Zero-point Blockage يركز على القوات الأمريكية المتواجدة في نقاط الاختناق الاستراتيجية Choke Points الملاصقة / القريبة جدا من بر الصين، والمتمثلة في مجموعات القتال البحري التابعة للأسطول السابع 7th Fleet Naval Strike Groups والقواعد التابعة لقيادة الهندوباسيفيك USINDOPACOM في المناطق القريبة من البر الصيني في كوريا الجنوبية والفلبين والقوات المتمركزة في تايوان إلى جانب تحالفاتها العسكرية والأمنية والاقتصادية المعقدة في إطار الرباعية الأمنية (Quad) وما بات يعرف بالناتو الآسيوي الممتد من اليابان وكوريا الجنوبية في الشمال وحتى البر الأسترالي في الجنوب وغربا حتى شبه القارة الهندية للسيطرة على خليج البنغال الذي يعتبر أحد الأدوات الاستراتيجية الهامة في خطة الحزام والطريق الصينية.

أقرب هذه القواعد لبر الصين هو مقر قيادة القوات الأمريكية في كوريا الجنوبية USFK والتي يبلغ قوامها 36 ألف جندي وتتخذ من معسكر هامفرز في مدينة بيونجتايك مقراً لها ويفصل بينها وبين مدينة شينجداو أقرب المدن الصينية 500 كيلومتر فقط.

أما قيادة القوات الأمريكية في اليابان (USFJ) فيبلغ قوامها حوالي 50 ألف جندي وتتخذ من قاعدة يوكوتا الجوية غرب طوكيو مقراً لها. وتنتشر القوات الأمريكية على قرابة 110 قاعدة جوية وبحرية عبر اليابان، تعتبر أقربها لبر الصين هي قاعدة جزيرة أوكيناوا التي تبعد عن البر الصيني قرابة 600 كيلو متر وتستضيف 26 ألف جندي من الجيش ومشاة البحرية مع عتادهم البحري والجوي. كما تستضيف إحدى القواعد الأمريكية في اليابان، وهي قاعدة يوكوهاما الجوية، ثاني أكبر أسراب القاذفات الاستراتيجية حول العالم بعد قاعدة جوام. كما تعمل قاعدة أخرى، وهي قاعدة يوكوسوكا البحرية التي تعتبر أكبر قاعدة بحرية أمريكية في العالم خارج الولايات المتحدة، كمقر للأسطول السابع الأمريكي المخصص لنطاق مسؤولية قيادة الهندوباسيفيك USINDOPACOM AOR.



الانتشار العسكري الأمريكي في مناطق الخنق الاستراتيجي الملاصقة لبر الصين

هذا القوس الأمني الضيق المتاخم لبر الصين بعمق 1500 كيلو متر في أسوأ الحالات يضم قرابة 175 ألف جندي ومجموعي حاملات طائرات (130 قطعة بحرية) وقرابة 400 طائرة مقاتلة وسربي غواصات في حالة جاهزية تامة.

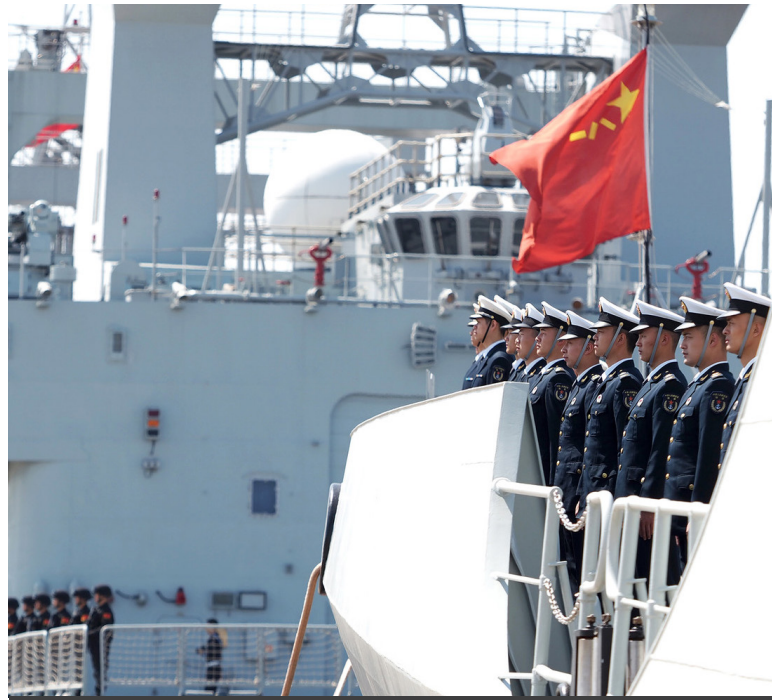
2 حصار بحري متأخر Rear Blockage يمتد على شكل المنجل من أرخبيل هوكايدو شمالي اليابان مروراً بأيواجيما ثم جوام وصولاً إلى القواعد الأمريكية في الجزر الميكرونيسية جنوبي المحيط الهادئ. وتعتبر قاعدة جوام التي تبعد عن بر الصين قرابة 5000 كيلو متر هي قاعدة التمرکز الرئيسية في هذا الحصار وبها مقر القيادة الاستراتيجية الأمريكية في المحيط الهادئ USSTRATCOM وتستضيف الجزيرة أكبر قاعدة على مستوى العالم للقاصفات الاستراتيجية بكل أنواعها (B52 Stratofortress, B2 Spirit, B1 Lancer). وفي الخلف من ذلك القوس الأمني، توجد قيادة الهندوباسيفيك الأمريكية في هاواي التي يصدر منها أوامر القيادة وتستضيف الاحتياطي الاستراتيجي لذلك الانتشار.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ثمة حصار من نوع مختلف باستخدام أدوات السيطرة النوعية في تطبيق ذلك الحصار وتفكيك كافة خطط واستراتيجيات السيطرة الصينية مثل ADIZ-SCS وA2-AD وغيرها من أساليب السيطرة الجوية والبحرية من الموقع أو عن بعد؛ باستخدام عقيدة الأسلحة المشتركة والتناغم بين أفرع القوة المسلحة بدءاً من فرق الاستخبارات وطائرات الاستطلاع البحري وصولاً إلى سربي الغواصات النووية السابع والخامس عشر الذان يشكلان ستارة ردع قبالة بحار الصين الثلاثة وبعمق 4800 كيلومتر حتى شواطئ جزيرة جوام.

البحرية الأمريكية في الهادئ ومغالطة تفوق البحرية الصينية

لأسباب تتعلق بعدم وجود قواعد أمريكية متصلة ببر الصين، فإن الوسيلة الأساسية للحصار العسكري الأمريكي هي القوات البحرية والقوات المحمولة بحراً / جواً. لذا، فإنه كما أشرنا آنفاً، فإن الدولة القادرة على مواكبة الحاجات المتطورة للنظام الدولي في ممارسة أدوار الحماية الأمنية للتجارة الدولية في أعالي البحار ستكون هي القادرة على خط قواعد النظام الدولي الجديد. وقد شهد العقدين الماضيين تغيرات كبيرة في موازين القوة البحرية والتنافس البحري على المراكز الوصيفة للقوة البحرية الأمريكية لكن الصين ربحتها أخيراً مع امتلاكها لثلاث حاملات طائرات مع برامج طموحة لامتلاك ست حاملات طائرات بحلول عام 2037.

لذا، فقد ساد في الآونة الأخيرة جدل واسع حول القوة البحرية الأكبر في العالم، بعد بروز مؤشرات عدة - مثل جلوبال فاير باور - تؤشر إلى تفوق البحرية الصينية على البحرية الأمريكية وفقاً لاعتبارات كمية بسبب تفوق عدد قطع القوات البحرية الصينية (بمقدار الثلث) على



صورة لقوات بحرية صينية - مايو 2020 - المصدر: شينخوا

قطع البحرية الأمريكية وهذا التفوق الكمي أمر صحيح لا غبار عليه، بل إنه وفقاً لذلك المؤشر فإن القوات البحرية الأمريكية حلت في المرتبة الثالثة بعد البحرية الروسية. لكنه لدى الحديث عن التفوق البحري، فإن الكلام حول التفوق العددي لا أساس له من الصحة وسيكون مضللاً في نهاية المطاف.

ففي تلك المنهجية، تعتبر حاملات الطائرات وسفن الهجوم البرمائي وسفن الإمداد والطرادات والفرقاطات والكورفيتات وكاسحات الألغام ولانشات حرس السواحل أرقاماً متماثلة، وذلك غير صحيح ويؤدي إلى نتائج مغلوطة في النهاية، وهذا يمكن أن يفسر لماذا حلت القوات البحرية الكولومبية في المركز الرابع في مؤشر جلوبال فاير باور، في حين حلت قوات البحرية الملكية البريطانية في المركز السادس والستين؛ وكل هذه بالطبع نتائج قد تكون مضللة بنيت على مؤشر كمي، لا يتبع قواعد الضبط والتدقيق.

لذا، فإنه وفقاً للتمييز الواجب بين الأسلحة، تعتبر البحرية الأمريكية أقوى قوة بحرية في عالمنا اليوم. ولهذا التفوق أبعاداً كثيرة:

أولاً من ناحية العتاد البحري الثقيل، فإن عدد حاملات الطائرات الأمريكية (11 حاملة طائرات) يفوق عدد حاملات الطائرات في العالم أجمع مرة واحدة على الأقل بالحساب العددي، وكذلك عدد المدمرات وسفن الهجوم البرمائي.

ثانياً على اعتبار الكفاءة، فجميع حاملات الطائرات الأمريكية تعمل بمفاعلين نوويين على متنها، في حين أن الحاملات غير الأمريكية تعمل بمصادر أخرى للطاقة مثل التوربينات البخارية والديزل. وهذا يعني أن قدرات الإزاحة Displacement (الذي يعتبر أحد أهم معايير قياس الكفاءة والقدرة القتالية) لحاملات الطائرات الأمريكية تتخطى بكثير الحاملات الأخرى التي تعمل بالديزل بسبب كفاءة المحركات النووية. وفي هذا الصدد، فإن مجموع قدرات الإزاحة لحاملات الطائرات الأمريكية تبلغ قرابة 1300 مليون طن، في مقابل 550 ألف طن فقط لكافة حاملات الطائرات غير الأمريكية.

ثالثاً أحدث التطوير الذي أجرته الولايات المتحدة على طائرات (F-35) ثورة كبرى في عالم القوة البحرية عموماً والقدرة البحرية الأمريكية على وجه خاص. فالطراز الثاني من الطائرة (F-35B) القادر على الإقلاع العمودي تم تحميله على سفن الهجوم البرمائي (LHD) بكلا طرازيهما WASP-Class / America-Class وهذا يعني أن سفن الهجوم البرمائي عالية القدرة أصبحت عملياً حاملات طائرات مما يعني عملياً إضافة سفن الهجوم البرمائي السبع إلى قوة حاملات الطائرات.

إن فكرة إدماج سفن الهجوم البرمائي في قوة حاملات الطائرات ليس بالجديدة وتوجد محاولات كثيرة في هذا الاتجاه عن طريق التحديثات التي تمت على طائرات هاربير 2 البريطانية، لكن الطائرة وطرازها القديم لم تسعفا المتطلب الأمريكي حتى جاء نموذج الإقلاع العمودي من (F-35) لتقوم بذلك الدور. ولاستيعاب مدى كفاءة هذا التحديث، فإن سفينة الهجوم البرمائي تستوعب حتى 30 طائرة (F-35) على متنها وذلك بسبب الإقلاع العمودي الذي يوفر المساحة على متن السفينة. وهو ما تترجمه خطة مشاة البحرية (المارينز) لتحديث قدراتها الجوية واستبدال طائرات (F-18) التي تمثل عماد المارينز إلى (F-35B) التي ستصبح عماد القوة الجوية للمارينز مع 2030. وهو ما يجعل من سفن الهجوم البرمائي حاملات طائرات وفقاً للواقع والنظرية.

البحرية الصينية تواجه غريماً غير تقليدي!

هناك أمور أخرى يجب الوقوف عندها لدى المقارنة بين البحريتين الأمريكية والصينية:

أولاً: الأسطول السابع الأمريكي المتمركز في يوكوسوكا باليابان هو الأسطول الوحيد الذي يتبعه حاملة طائرات مخصصة له بشكل حصري هي حاملة الطائرات رونالد ريغان ولا يطبق خطة استجابة الأسطول FRP Fleet Response Plan / وهي الخطة التي تقضي بعودة حاملات الطائرات لقواعد القوات البحرية في نورفولك فيرجينيا أو بريمرتون بولاية واشنطن ونورث أيلاند بكاليفورنيا (حسب اتجاه الانتشار) من أجل الإعداد والإصلاحات والعودة مجدداً. وهو ما يضمن استمرار تواجد حاملة الطائرات في المنطقة ولا تتعرض المنطقة في أي وقت إلى فراغ. هذا بالإضافة إلى نشر حاملة أخرى من تلك التي تسير وفق خطة استجابة الأسطول بشكل دوري في إطار ما يعرف بمجموعة حاملات الطائرات الخامسة 5 CARSTRKGRU، وهو ما يعني وجود مجموعتي حاملات طائرات بشكل دوري في غرب الباسيفيك وهو ما يعني مرابطة قرابة 160 قطعة بحرية هجومية وفقاً لخطة الانتشار.

ثانياً: تسمح قوة محركات حاملات الطائرات الأمريكية ببناء منصة لإقلاع الطائرات على سقف حاملات الطائرات هي الأكبر في العالم وتتسع في بعض الأحيان لمائة طائرة بنظام الإقلاع العادي CATOBAR وقد تتسع الحاملة لحوالي 30 طائرة إضافية (إجمالي 130 طائرة) إذا تم نشر طائرات الإقلاع العمودي V/STOL. أما الحاملات الصينية التي تعمل بتوربينات بخارية، فإن طرازها الأحدث وهو تايب 003 - فوجيان يتسع فقط لأربعين طائرة والطرازات الأقدم (لياونينج وشيندونج) لا تتمكن سوى من ثلثي أو نصف هذا الرقم مما يخلق فجوة كبيرة في الانتشار في البحار الإقليمية، إذا ما قورن هذا الرقم بأرقام أداء حاملات الطائرات الأمريكية في المحيط الهادئ.

ثالثا: تنشر الولايات المتحدة في الباسيفيك 7 أسراب غواصات، ثلاثة منها فقط في غرب الباسيفيك تجاه الصين تضم 18 غواصة نووية أربعة عشر منها مزودة بصواريخ Trident II البالستية العابرة للقارات. هذا العدد والانتشار مهم جدا لاستراتيجية الولايات المتحدة في السيطرة على منطقة غرب المحيط الهادئ، خصوصا في ظل نشر الصين لثمانية غواصات فقط (طراز تايب 94) مما يعني وجود سيطرة أمريكية على غرب المحيط الهادئ قبالة سواحل الصين.

وقبل كل ذلك، فإن ثمة دور مهم لرسوخ الاستراتيجية البحرية لدى الجانب الأمريكي على مدار قرابة قرن تسود فيه الولايات المتحدة البحار. أما البحرية الصينية فلا تزال تتلمس خطاها في مجال بحري يلعب فيه الخصم منذ قرن وربيع من الزمان.

وإذا ما قمنا بتوسيع الصورة وضممنا قدرات التحالفات الأمريكية العسكرية والأمنية في الباسيفيك مثل تحالف AUKUS الذي يضم بريطانيا وأستراليا أو الرباعية الأمنية للهندوباسيفيك QUAD، فإن الأمر سيكون أشد صعوبة بالنسبة للصين.

ما هي محاولات مخططي بكين لكسر هذا الحصار

من المهم كثيرا استيعاب الكيفية وتحديد العدسة التي تنظر منها بكين لذلك الوجود الأمريكي. فالصينيين لا يزالون أسرى لذكريات الحروب التي قضت على امبراطوريتهم وسقتهم كؤوس الذل مترعة لعقود متتالية، لاسيما الحرب الصينية البريطانية الثانية (حرب الأفيون الثانية 1859 - 1860) والحرب اليابانية الصينية الثانية (1936 - 1945). لذلك، فإن التجربة التاريخية حاضرة طوال الوقت من أجل تفادئ مشكلة مماثلة قد تقذف بالصين عقودا للوراء. وفي ظل عالمنا الحالي، تستوعب بكين أن قوتها لا تزال في طور النمو والتطور وأن ثمة رجوح كبير Overmatch في ميزان القوة لصالح الولايات المتحدة مما يجعل أي مواجهة بين القوة الصينية والقوة الأمريكية في هذه الآونة بمثابة القضاء على حلم بكين لأن تصبح قوة عظمى حيث ستؤدي تلك المواجهة بالحسابات الرياضية إلى نصر مؤزر للولايات المتحدة وحلفائها.



حاملة الطائرات الصينية، لياونينغ، تشارك في عرض عسكري في بحر الصين الجنوبي في أبريل 2021، - رويترز

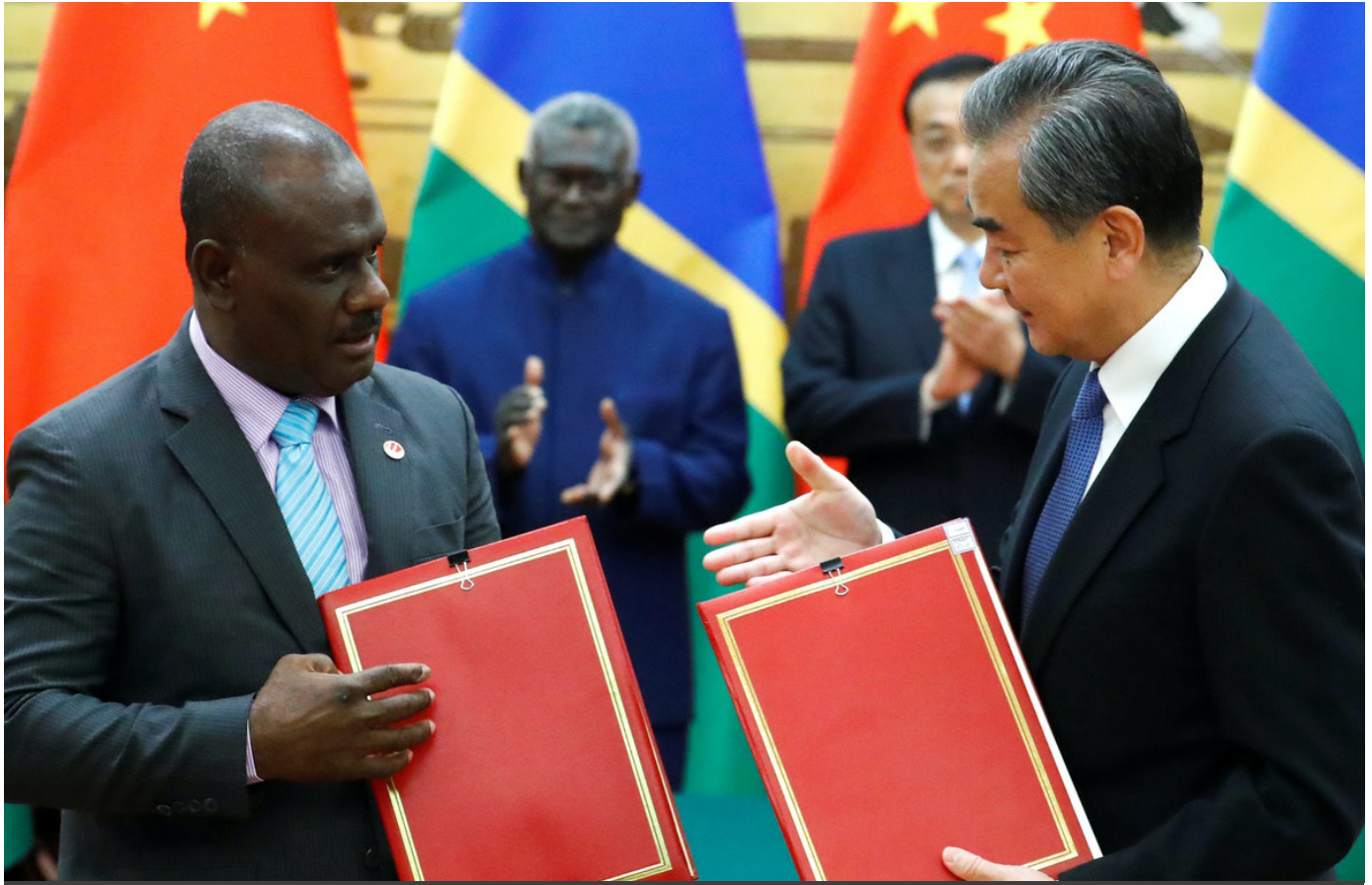
وعلى الرغم من أن كشف حقائق ووقائع القوة power factbook في غرب الباسيفيك يجعل من المهمة الصينية في السيطرة على بحارها الإقليمية (البحر الأصفر وبحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي) مهمة صعبة جدًا ويجعل من موازين القوى في الباسيفيك في صالح الولايات المتحدة وتحالفاتها إلى حد كبير. لكن الصين التي يبدو وكأنها آتية من المستقبل ومبشرة بنظام عالمي جديد أمامها فرصة كبيرة إن أحسنت استغلالها قد يمكنها التغلب على ذلك الوجود الأمريكي الطاغى في الباسيفيك ومن ثم الانطلاق نحو أعالي البحار والسيطرة عليها.

لحظة بكين

تستشعر الصين أنه على الرغم من قوة النفوذ الأمريكي وبعد البون بين القوة الصينية ونظيرتها الأمريكية، إلا أن هذه اللحظة هي لحظة بكين ويجب عليها اقتناصها بكل ما أوتيت من أسباب. هذا الشعور يقويه ضعف الإيمان المتنامي بالمنظومة الفلسفية والقيمية للحضارة الغربية وفي القلب منها الجدل الدائر منذ عقود بعد تاريخانية الديمقراطية وأنها لا تصلح لكل البيئات وكل السياقات؛ في ظل سياق عالمي أقرب لتبني أفكار سلطوية بسبب سياسات مكافحة الإرهاب التي تخلق صدامات بين ما هو أمني وما هو سياسي، بالإضافة إلى النظر إلى الأزمات الاقتصادية العالمية المتكررة على أنها إفرازات سيئة للأفكار والأطروحات الاقتصادية غير المكتملة التي نادى بها الحضارة الغربية لاسيما في نظامها الاجتماعي القائم على المركزية الفردية التي ألغت إلى حد كبير بناء الأسرة والمجتمعات المحلية والعادات والتقاليد.

لكن يمكن القول إن ما قوى من شهية بكين لقلب قواعد النظام الدولي أشياء أعمق من ذلك بكثير، على رأسها ظهور بعض العلامات على أن الحضارة الأمريكية قد شاخت وحن وقت البديل. وإذا صح الاعتقاد في هذه النقطة، فإنه يمكننا القول بأن الصين تتحرك بخفة كبيرة في المنظومة الدولية رغم القيود الأمريكية وهو ما ظهر جليا في الاستفادة الصينية الكبيرة من منظومة العولمة المهيكلية أمريكيا على نحو فاق الاستفادة الأمريكية منها؛ وهو ما دعم رأي كثيرين بأن دولة بكين أكثر شبابا وحيوية من دولة واشنطن. وتظهر هذه الحيوية بشكل جلي هذه الأيام في مشروعات تحديث للجيش والصناعة الصينية تتخطى بمراحل كثيرة قدرة الولايات المتحدة على الفعل الاستراتيجي هذه الأيام، وتعيد للذاكرة القدرة الأمريكية على الفعل إبان الحرب العالمية الثانية.

بالقراءة في مقترب الحزب الشيوعي وآلياته لاستغلال هذه اللحظة التي تظنها بكين لحظتها، فإن ثمة استراتيجية متعددة المراحل والمحاور تسير عليها بكين من أجل الوصول إلى هدفها وهو: قلب قواعد النظام الدولي الحالي وتأسيس نظام جديد بقواعد جديدة لم تكتمل صورتها بعد.



وزير الخارجية الصيني وانج يي ونظيره في دولة جزر سليمان، جيريميا مانيلي، بعد توقيع اتفاق في بكين - 9 أكتوبر 2019 - المصدر: REUTERS

استراتيجية الفئات الثلاث (Triple-F) لكسر الحصار

تتمتع الولايات المتحدة بوضع استثنائي وتاريخي شديد التركيب والتعقيد. فما من قوة مهيمنة في تاريخ العالم المكتوب تجمع لديها عوامل القوة التي تمتلكها الولايات المتحدة وراكتها عبر ثلاث ثورات مرت بها البشرية في غضون القرن ونصف الماضي وهي: الثورة الكهربائية والثورة الذرية ثم الثورة المعلوماتية. بالإضافة إلى ذلك، تفرض الولايات المتحدة عملتها المحلية كعملة تسوية دولية في العالم أجمع وقد تتخطى في بعض البلدان العملات المحلية. لذا، فإنه من أجل تحدي ومواجهة هذه القوة الاستثنائية، يجب التحلي بخطة مركبة تتحلى بالصبر والمرونة وطول الأمد.

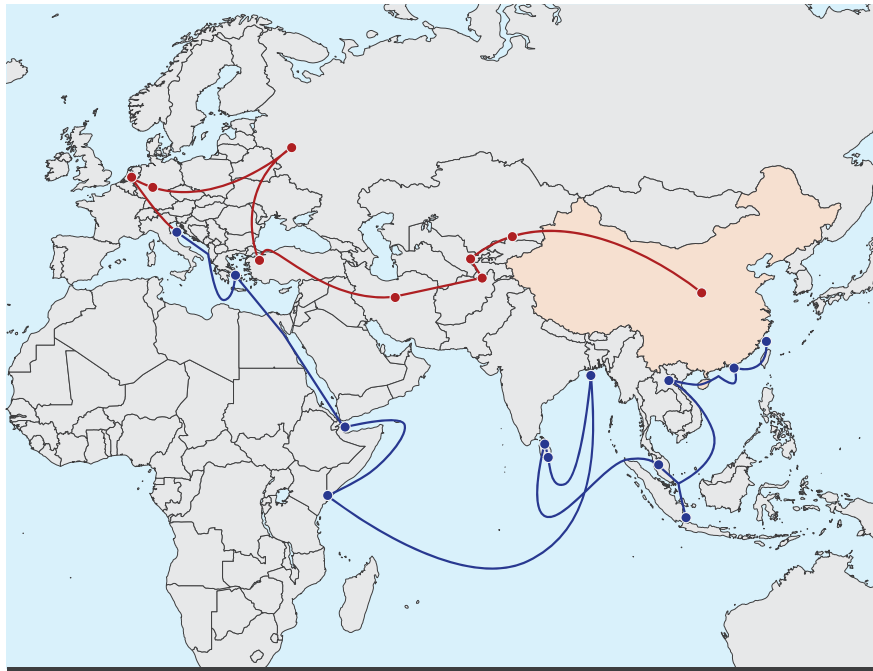
بالنظر والمراقبة لسلوك بكين في الأعوام الأخيرة وما تفصح عنه الأوراق الاستراتيجية والخطط المعلن عنها، تنتهج بكين استراتيجية وثيقة الصلة بنظرية والتر برادفورد كانون حول الطبيعة الحيوانية في التعاطي مع التهديدات وهي حسب برادفورد واحدة من ثلاثة (Freeze / Fight / Flight).

المرحلة الأولى | السكون / مراكمة القوة (Freeze 2017 - 2027):

منذ بداية العقد الثاني من القرن الحالي، بدأت صراعات مكتومة بين الولايات المتحدة والصين تأخذ مساراتها إلى التطور، في ظل تأثير صيني لا ينكر على الاقتصاد وسلاسل التوريد والإمداد العالمية مما دفع الناتج المحلي الإجمالي العالمي نحو آفاق جديدة.

لذا، فإنه استغلالاً من الصين للقيم السائدة في ظل نظام العولمة مثل الاعتماد المتبادل وسياسات السوق الحرة والتمويلات التنموية DPF، فقد اختارت الصين البدء في محاور لفك الحصار المفروض عليها تسير على نفس نهج واشنطن في التعامل مع الموضوعات التي تمس أمنها القومي وهو عن طريق خلق حاجة لدى الطرف الآخر تجربته على التعاون. لذا، فإن تحركات بكين في الأصل هي تحركات استراتيجية الأساس فيها تأسيس مواطني أقدام لأغراض غير اقتصادية والآليات في ذلك كلها آليات اقتصادية ومالية لا جيش فيها ولا عسكرية.

تتحرك الصين في إطار هذه المرحلة عبر ثلاث محاور، ويتحدد سقف هذه المرحلة ببدء تنفيذ خطة الجاهزية الصينية 2027 والتي تبدأها بضم تايوان:



خارطة توضح مسارات مشروع الصين «الحزام والطريق»

المحور الأول خطة الحزام والطريق

في السنوات الأخيرة، وفي سياق الحصار الصلب الذي تواجهه الصين في المحيط الهادئ، حاولت الصين الالتفاف على ذلك الحصار الذي أصبح يهدد نمو الاقتصاد الصيني ذاته ولم يعد الأمر مقتصرات على معادلة الأمن والعسكرية فقط. فقامت بإحياء استراتيجية قديمة استعارتها بكين من عالم ماركو بولو في القرون الوسطى حيث كان لدى الصين طريق تجاري ممتد عبر وسط آسيا نحو أوروبا والشرق الأوسط ألا وهو ما يعرف تاريخياً بطريق الحرير. لكن طريق الحرير الجديد تم إقرانه بحزام بحري لخلق نفوذ بحري للصين خارج منطقة غرب الباسيفيك التي تسيطر عليها الولايات المتحدة وكما محاولة من بكين لخلق نفوذ صيني في أعالي البحار.

تقوم الفلسفة العامة لخطة الحزام والطريق على تأسيس علاقات طويلة الأمد مع الدول ذات الثقل الجيو-استراتيجي مع تدعيم تلك الأواصر بشبكات بنية تحتية تمولها الصين وتخدم تلك الشبكات في سياق خطة الحزام والطريق بقروض صينية ميسرة في بعض الأحيان، وكمحف في أحيان أخرى. انصب رهان الصين في تلك الاستراتيجية على أن الاقتصاد هو اللبنة الأساسية في علاقات العولمة وأن مبدأ الاعتماد المتبادل كمنظور أساسي حاكم في العلاقات الدولية سيكون هو السبيل لعدم اعتراض القوى الكبرى (الولايات المتحدة واليابان تحديدا) على ذلك المشروع باعتبارها تستهدف رفاهية أطراف عديدة وستصب في النهاية في صالح الاقتصاد الدولي. ومع مرور الأعوام، سيسحب هذا المشروع النظام الدولي لأنماط جديدة من العلاقات (بعيدا عن الفخاخ الأمريكية المنصوبة لبكين في غرب الباسيفيك) تكون الصين فيها طرفا محوريا وحينئذ يكون في استطاعة بكين، التي ستكون قد قامت بالتوازي مع ذلك المشروع بتقليل الفجوة في العتاد العسكري مع الولايات المتحدة، فرض ما تشاء.

● محاولة طموحة تواجه فقاعات كبيرة

حققت سياسات الحزام والطريق تحسينات / تغييرات ملحوظة على استراتيجيات التعاون والإدماج الإقليمي والعاور للإقليم، ولا زالت تحقق الكثير في هذا الصدد. لكنه مع انتشار جائحة كورونا والإغلاقات المتكررة وتبدل أولويات الإنفاق في كثير من الدول، سارت وتيرة اتفاقات الحزام والطريق بوتيرة أكثر بطأ من ذي قبل. ثم جاء الصراع الروسي الغربي على أوكرانيا الذي بدأ مع نهاية 2021 ليضع هذه الخطة الصينية في مهبط الريح، بسبب الترصد الأمريكي لذلك المشروع ومحاولة تفخيخه من فترة لأخرى، خصوصا في شقه الأوروبي.

فمشروع طريق الحرير يرتكز بشكل أساسي على مد الطريق البري بين البر الآسيوي والأوروبي عبر السهل الأوراسي العظيم الذي يمتد من وسط آسيا وحتى شرق أوروبا، وهو ما يعني أن وجود نزاع مادي عسكري في شرق أوروبا سيهدد ذلك الحزام الذي يستهدف وصل بكين بدول أوروبا الغربية بالأساس. ومن هنا، أصبح استمرار الصراع في شرق أوروبا بمثابة حصان طروادة في وجه هذا المشروع. ومن ثم، فإن استمرار الحرب في أوكرانيا تدعيم للرغبة الأمريكية في إعادة تدعيم العلاقات العابرة للأطلسي مع القارة العجوز بعد أن كانت قد جرفت عنها بعيدا الوعود الصينية الاقتصادية والتجارية. وفي هذا فشل كبير لمخططي خطة طريق الحرير الذي انطلقوا في العلاقات مع أوروبا بعيدا عن الولايات المتحدة، بفهم خاطئ منهم بأن الأوروبيين قد كونوا رأيا في أهمية الحفاظ على تباعد مناسب عن الأمريكيين الذين أعاقوا تقدم دول القارة لحساب تقدم دولتهم، وأن ثمة فائدة من تكثيف التعاون مع الصين يمكن جنيها في هذا السياق. ومن هنا يمكن تمرير علاقة قوية مع أوروبا تكسب منها بكين والدول الأوروبية بغض النظر عن الضرر الذي سيصيب العلاقات العابرة للأطلسي حينئذ.

● الحرب الروسية الأوكرانية: حصان طروادة للخطة الصينية

لدى اشتعال الحرب الروسية الأوكرانية في بدايات العام الحالي (2022)، اتضح من السلوك الغربي في أيام الحرب الأولى أن المراد هو توريث روسيا واستنزافها في حرب طويلة الأمد واستغلال تلك الحرب كمطية لتثبيت قواعد النظام الدولي الحالي لنصف قرن على الأقل. وأحد هذه القواعد هو أن هيكل النظام الدولي بني منذ ثمانين عاما على مبدأ متانة العلاقات العابرة للأطلسي والقبول الأوروبي بالوجود العسكري الأمريكي على أراضيها والذي أصبح مع مرور الزمن ضرورة وفقا لنظر بعض الأوروبيين. ومن ثم، فإن بكين لم تعد تعول كثيرا على نمط الشراكات الاقتصادية كمحاولات لفك الحصار المفروض عليها، لاسيما مع أوروبا التي عاد إليها الأمريكيون بقوة مع بدايات الحرب ولا تزال أفواج الجيش الأمريكي تحط عتادها على شواطئ البلطيق، وتتمركز على الحدود البولندية، كما قامت القيادة الأوروبية للجيش الأمريكي في ألمانيا بتوسيع مقراتها استعدادا لاستقبال حشود كثيفة من أسلحة الجيش الأمريكي هذا العام والعامين المقبلين، وهو ما يشير إلى الرغبة في استمرار الحرب وإعادة عسكرة أوروبا لأعوام مقبلة. كل هذه الأجواء أصابت بكين بالإحباط حيال مشروعات التعاون الاقتصادي والتجاري المنفردة وتحت مظلة الإتحاد الأوروبي؛ وظهر ذلك الإحباط في بيان الخارجية الصينية حول دعوة الرئيس تشي جين بينج للزعماء الأوروبيين إلى الصين في نوفمبر، على الأرجح بعد انتهاء الانعقاد السنوي للحزب الشيوعي في أكتوبر، لكن أحدا من الزعماء الأوروبيين أكد على قبول الدعوة حتى الآن.

المحور الثاني الإنهك والإرباك في غرب المحيط الهادئ

كل هذه الإحباطات التي أصابت سياقات التعاون الاقتصادي ستستمر لكن لن يكون لها الأولوية في فك الحصار الأمريكي على المحيط الهادئ ومحاولة بكيين لتغيير قواعد النظام الدولي. فبكيين تعرف جيدا أن النظام الدولي الحالي يقوم على ركنين أساسيين: سيادة الدولار والقوة العسكرية الأمريكية، والثانية لازمة للأولى؛ حيث إن أي ضعف أو تشكك في القوة العسكرية سيستتبعه انهيار وضعف اقتصادي وليس العكس، فالقوة العسكرية الأمريكية حاضرة دوما لجبر ضعف الدولار. وهذا المعنى حاولت بكيين تقمصه حتى في مشروع الحزام والطريق الذي قامت فيه بالمزاوجة بين القوة الاقتصادية والعسكرية وإن كان على أنطقة محدودة، في البلدان المتاخمة للصين مثل كمبوديا وميانمار.

لذا، فقد دفعت بكيين نحو التركيز وتكثيف العمليات على المسار التقليدي الموازي لمسار خطة الحزام والطريق لكسر الحصار ألا وهو: مسار المواجهة في غرب المحيط الهادئ حيث بحر الصين الإقليمية. هذه المواجهات ليس المقصود منها الالتحامات فهذه لم تتحقق حتى الآن وتحققها في أي وقت قد يعني الذهاب إلى حرب محتومة، لكن المقصود بالمواجهات هنا هي التحرشات وما دونها. ومع مرور الوقت، تزيد قوة الصين وأسهمها في اقتناص أرض جديدة من الأراضي غرب الهادئ عن طريق ثورة التصنيع الحربي التي تتبناها بكيين.

واتخذت هذه المواجهات شكلين من الأشكال أحدهما المواجهة المستمرة مع القوات المتمركزة على النقطة صفر في أكثر من ميدان:

أولا | البحر الأصفر مواجهات مع القوات العاملة تحت مظلة الأمم المتحدة التي تقودها الولايات المتحدة وبعض دول التحالف الأمريكي في إطار تطبيق قرارات مجلس الأمن المفروضة على كوريا الشمالية. وآخر تلك التحرشات مع سلاح الجو الصيني كان في الشهر الماضي عندما تخطت بعض طائرات عسكرية كندية وأسترالية لمنطقة حظر الطيران الصينية في البحر الأصفر، وهو ما نجم عنه أزمة دبلوماسية وجيزة بين بكيين وأوتواو وكانبرا سرعان ما تم حلها.

ثانيا | بحر الصين الشرقي في سياق أزمة تايوان التحركات والتحرشات والردود الصينية التايوانية من فترة لأخرى، وكذلك أزمة أرخبيل سنكاكو المتنازع عليه مع اليابان والذي يشهد أزمات عسكرية ودبلوماسية بين بكيين وطوكيو وتدخلات من قبل الولايات المتحدة والتحالف الدولي في كل القضيتين بشكل مستمر.

ثالثا | بحر الصين الجنوبي في إطار المحاولات المستمرة من قبل قوات البحرية الصينية للسيطرة على بحر الصين الجنوبي عن طريق أرخبيل سبراتلي الصناعي في عرض البحر، والذي تتخذه الصين ذريعة لفرض نظام تحديد الدفاع الجوي الصينية ADIZ على معظم أرجاء بحر الصين الجنوبي والمحاولات والتحرشات الأمريكية المستمرة لإثناء الصين عن ذلك.



المحور الثالث

منطقة جنوب المحيط الهادئ (معركة جوادلكانال نموذجاً)

كل هذه المحاولات تراها الصين أنها غير كافية لكسر الحصار بسبب متانته وخطورة مواجهاته فهو حصار مفروض على نصل سكين مما يرفع من احتمالات نشوب صراع مسلح في غضون ساعات وهو ما لا تريده الصين في هذا التوقيت. ومن هنا جاءت أهمية دراسة الخبرات التاريخية للمواجهات اليابانية الأمريكية في معارك المحيط الهادئ عسى أن تشير إلى مخرج لبكين. وأهم هذه المعارك التي برز فيها ملمح من ملامح الاختراق كانت معارك جزر سليمان في أواخر عام 1942 بين القوات الأمريكية واليابانية.

فبعد قصف البحرية الإمبراطورية اليابانية للقاعدة البحرية الأمريكية في بيرل هاربر أواخر عام 1941، قضت الخطة اليابانية بأنه من أجل كسب معركة الهادئ ومحاصرة الأمريكيين يتعين عزل أستراليا تماماً؛ وذلك عن طريق السيطرة على منطقة الجزر الأوقيانوسية الممتدة من شمال بحر كورال وحتى بحر باندا قبالة جزر تيمور الشرقية مروراً بجزر بابوا غينيا الجديدة وأرخبيل بسمارك وجزر سليمان البريطانية. قام اليابانيون بإنشاء قواعد بحرية وجوية في جوادلكانال بجزر سليمان من أجل استغلالها كنقاط سيطرة وتحكم على منطقة الأوقيانوسيا كلها ومن ثم الإمعان في خنق أستراليا وعزل منطقة جنوب الهادئ تماماً.

لكن الأمريكيين باغتوا القوات اليابانية في مقتل إعداداتها في جوادلكانال عن طريق إنزالات جوية كثيفة على الجزيرة ثم استطاعوا بعد معارك شرسة مع اليابانيين طردهم من الجزيرة وكسر الحصار المتقدم على أستراليا. كانت الفرقة الجوية التي تولت تقويض الوجود الياباني على الجزيرة تعرف بفرقة «الخروف الأسود» وكان لها دور محوري في كسر ذلك الحصار عن جنوب الهادئ وكسر سلسلة الإمدادات اليابانية الجبارة والتي عرفها الأمريكيان بقطار طوكيو السريع (Tokyo Express) وإدماج أستراليا بقواها الناعمة والخشنة كظهير للأمريكيين في الحرب.

لذا فإن الصين تقوم الآن على تنفيذ نفس الخطة التي حاولت اليابان تنفيذها ألا وهي: خنق أستراليا وإخراجها من اللعبة الإقليمية. قامت الصين بمحاولات كثيرة في هذا السياق، وفتحت كثيراً من الحوارات الاستراتيجية مع جزر المحيط الهادئ. والعجيب في المحاولة الصينية أنها نسخت الخطة اليابانية بالحرف الواحد بدون أي تغيير وحاولت تكوين علاقة استراتيجية مع جزر سليمان وأفلحت بكين أخيراً في توقيع اتفاق تعاون عسكري مع جزر سليمان تقوم على إثره هونيارا باحتضان قاعدة عسكرية صينية واستقبال قوات صينية بالإضافة إلى اتفاقات اقتصادية واستثمارية سخية من بكين.

بعد مرور أسابيع معدودة على اتفاق الصين مع جزر سليمان، قامت الصين بتسديد ضربة أخرى شديدة الوطأة على واشنطن وحلفائها في المحيط الهادئ. فقد انسحبت كيريباتي من منتدى جزر المحيط الهادئ PIF على إثر زيارة لوفد أمني واستثماري صيني للجزيرة الصغيرة التي تعتبر أقرب جزر الهادئ للأراضي الأمريكية في هاواي؛ وهو ما يعد ضربة قوية للولايات المتحدة خصوصاً إذا صحت التسريبات حول اتفاق السلطات في تاراوا مع بكين على استغلال بكين لأرصعة مطار كانتون الذي ظل لفترات طويلة يستخدم استخداماً حصرياً من قبل سلاح الجو الأمريكي.

كل ذلك يأتي في سياق مفاوضات مستمرة مع فانواتو وفيجي للدخول في اتفاقات تجارية واقتصادية مع الصين في مقابل استغلال أراضي ومرافق في تلك الجزر لصالح البحرية والجيش الصيني.

كذلك، فإنه في سياق كسر الحصار والالتفاف عليه، فقد ركزت الصين بشكل كبير في خطة الحزام والطريق على البنية التحتية الصينية للوصول إلى خليج البنغال من أجل تأمين منفذ بحري لأقاليم شرق الصين الصناعية في حال قامت الولايات المتحدة وحلفائها بتسديد الحصار في بحر الصين الجنوبي. لذا، فإن موطئ القدم على خليج البنغال يعفي الصين من الوقوع تحت رحمة الأمريكان وحلفائهم. إنفاذاً لهذا الغرض، فقد قامت الصين بإنشاء قواعد ومنشآت عسكرية في كمبوديا وميانمار، كشفت بعض الأقمار الصناعية الأمريكية عن بعضها في شهر يونيو الماضي. وهذا يعني نجاح جزئي للخطة الصينية للالتفاف، لكنه لا يضمن لبكين النجاح في هذه الخطة، فقد استبقت الولايات المتحدة هذه الخطة بإنشاء التحالف الأمني الرباعي في الهندوباسيفيك (QUAD)

من أجل ضمان المجهود الهندي في إطار الخطة الأمريكية لحصار الصين، لاسيما وأن خليج البنغال يقع ضمن مناطق النفوذ الأساسية للبحرية الهندية. وهذا كان الداعي من قبل الولايات المتحدة للموافقة على المبادرة اليابانية بضم المحيطين الهادئ والهندي في إطار استراتيجية واحدة وقامت الولايات المتحدة في عام 2019 بإعلان مبادرة الهندوباسيفيك: منطقة حرة ومفتوحة FOIP ثم الإعلان عن قيادة الهندوباسيفيك الموحدة USINDOPACOM .



القيادة الأمريكية في المحيط الهادئ - هونولولو ، هاواي - مايو 2021 - المصدر: Air unevrsity

هذا النشاط الصيني المحموم والناجح في بعض مراحله يتماشى مع خطط ضخمة لتحديث الجيش والصناعة، وسعت من الفجوة بين بكين ومن يسير وراءها. فإعلان بدء تشغيل حاملة الطائرات الثالثة (فوجيان - تايب 003) مع البدء في الرابعة المفترض تسليمها في 2027 إلى جانب إنتاج واسع للمدمرات (تايب 055) والغواصات (تايب 039)، كل ذلك يقلل كثيرا من فجوة القوة بين بكين وواشنطن ويؤهلها للذهاب بعيدا - بعد أن تتقارب موازين القوى - إلى مواجهة واشنطن من أجل تغيير قواعد النظام الدولي والوصول إلى صيغة مع الولايات المتحدة إما بالاتفاق أو بالعراك وهو الأرجح.

المرحلة الثانية | المواجهة Fight (2027 - 2035): هل حانت لحظة فرنسا 1939 ؟

مع نهاية العشرينات من القرن الماضي، افتتح الفرنسيون خط ماجينو لحمايتهم من أي غزو محتمل للألمان وآمنوا حينئذ بأن عقيدة الدفاعات الثابتة ستستمر ربما لجيلين أو ثلاثة، لاسيما مع تقهقر القوة الألمانية في ظل تحليل المجتمع والمؤسسات الألمانية تحت حكومة فايمر. لكن الذي لم تحسب له فرنسا حسابا أن هذه الدفاعات الثابتة ستدفع لها ثمنا فادحا عما قريب، مع الطفرة التي أحدثها الألمان على سلاح المدرعات الذي يصعب مواجهته بأي دفاع ثابت لقدرته العالية على الالتفاف على دفاعات الخصم، وهو ما قد كان في غزو فرنسا.

لقد هجم هتلر والريخ الثالث على الفرنسيين مستغلين ضعف خيالهم، وحين أدركوا أنهم على خطأ في تبني عقيدة الدفاعات الثابتة، كان الألمان قد سبقوهم ولم يعد هنالك في قوس الأمل منزع، فلم يكن هنالك أمام فرنسا نظريا سوى بضعة شهور لإعداد نفسها لتلك الحرب في حين أن الأمر كان يتطلب سنوات للقيام بترتيبات عسكرية وفقا للأوضاع الجديدة، وهو ما سهل مهمة الجيش النازي والتمهما في قرابة أسبوعين ودخل هتلر باريس بأقل التكاليف.

في إطار هذه المواجهة المستعرة بين واشنطن وبكين، فإن الخطأ الفرنسي ليس ببعيد، وذلك بناء على حقائق عديدة:

أولا: أن القدرة الصينية على التصنيع وسرعة الإنتاج أصبحت تفوق القدرة الأمريكية في بعض القطاعات وقد تشبه في بعض الأحيان نفس نموذج ألمانيا النازية في التصنيع التي سارت بشكل متسارع منذ عام 1935، على خلاف توقعات أجهزة الأمن والمعلومات في فرنسا وبريطانيا.

ثانيا: أن الصين تمتلك أكبر مخزون دولي من المواد الخام المطلوبة للصناعات العسكرية مثل التيتانيوم والتنجستن والكوبالت والأنتيمون. وهذا يعتبر أحد ملامح القوة بل ربما يكرس من قدرة الصين على تخطي القوة الأمريكية على المدى الطويل.

ثالثا: أن الفوائض المالية والإنتاجية التي تحققها الحكومة الصينية لا يمكن مجاراتها من قبل أي حكومة ديمقراطية في العالم بسبب تبني سياسات رأسمالية الدولة وهي طريق وسط بين الرأسمالية والاشتراكية تجعل من الحكومة أكبر مالك للأصول المالية.

رابعا: أن بيئة الصناعة الصينية لا يوجد مثيل لها على وجه الأرض من حيث العمالة المدربة والرخيصة ونظام الإنتاج الصارم، وهو ما يشكل تحديا للمصانع الأمريكية التي ترغب في التخرج من الصين نحو دول أخرى كالهند وفيتنام والفلبين. وهو ما سيشكل خسارة فادحة للأمريكيين وحلفائهم في نهاية المطاف وقد يحول شكل الصراع بنسبة كبيرة.

وكل ذلك يشير إلى أن فوارق القوى الحالية ليس قدرا محتوما وأن الصين قد تتمكن بين عشية وضحاها في قلب الطاولة عن طريق إحداث متغير جديد في الاستراتيجية العالمية لم يكن يتبناه أحد قبل ذلك، شيء أشبه باستراتيجية الحرب الخاطفة (Blitzkrieg) التي داهمت بها ألمانيا النازية أوروبا التي كانت حينئذ لا تعرف سوى الدفاعات الثابتة خلف الخطوط الحصينة.

وعلى أية حال، ليس لدينا إجابات صارمة حول شكل هذه المواجهة كيف ستكون؟ وهل سيتم تثبيت العوامل الدولية المحيطة بالصراع أم أن عدد منها سيتعرض للتغيير؟ هو أمر أشبه بتنبؤ درجة حرارة في منطقة عين الإعصار، وخاضع لعوامل عديدة يصعب إجمالها وتحديد درجة تدخلها وتغييرها لشكل المعادلة.

لكنه إذا ما مددنا خيط المواجهة الحالي على استقامته يمكن أن يعطينا بعض المؤشرات لشكل المواجهة المحتملة:



صورة للمدمرة الأمريكية USS Zumwalt

أولا: تقوم الولايات المتحدة بثورة في التصنيع العسكري تستند على إحداث نقلة نوعية paradigm shift في أسلحة المستقبل وكيفية استخدامها وإدارتها (بدءا من برامج إعداد الجنود Exo-skeleton مروراً ببرامج السيادة الجوية مثل مقاتلات الغارة المشتركة JSFs وبرامج المدمرات الشبحية Zumwalt-class وبرامج تحديث حاملات الطائرات وفقا للطراز الأحدث Ford-Class وبرامج تحديث الغواصات الباليستية SSBN ووصولاً إلى تفعيل القوة الصاروخية الفضائية).

ثانياً: في المقابل، تقوم الصين بتسريع وتحسين قدراتها الإنتاجية من أجل تقليل الفجوة بين السلاح الصيني والسلاح الأمريكي، وهو ما تمكنت من إجاده بشكل كبير. فهناك خطة طموحة لأسطول حاملات الطائرات بإنتاج حاملة كل خمس سنوات (قد تقل إلى ثلاث سنوات في وقت الطوارئ). كما أنه يمكن تكثيف إنتاج حاملات المروحيات الصينية لتصبح حاملات طائرات بعد تركيب أنظمة EMALS على سطحها ومن ثم وضع طائرات هجومية متوسطة مثل سوخوي 27 و J-15 الصينية على متنها، وهو برنامج سيكون أكثر فاعلية مع إنتاج الطراز البحري من طائرات J-20 (وهو البرنامج الذي يسير على خطى الطراز البحري لطائرة السيادة الجوية الأمريكية F-35 / F-35B).

لكن هذا النهج الصيني في تقليد الأمريكيين لن يقودهم في الأغلب إلى تحقيق التعادل في القوة في وقت قريب، وهو أمر واضح للعيان؛ على شكل يوجي للكثيرين بأن بكين تنصب كمينا للولايات المتحدة. وغالبا هذا الكمين سيكون من خارج المنظومة التي تستطيع الولايات المتحدة مواجهتها.

فهناك مؤشرات عديدة تشير إلى تكيف بكين لصناعة بناء الغواصات (خصوصا طراز تايب 035) والتي ستدفع الولايات المتحدة إلى إعادة الانتشار بما قد يهدد الوجود الأمريكي في أقاليم أخرى حول العالم. كما توجد مؤشرات أخرى على نمو وتضخم الميليشيا البحرية التابعة للحزب الشيوعي الصيني وهو ميليشيا جيدة التسليح تتحرك على زوارق مدنية تحت ذريعة الصيد والسيطرة على المصائد، لكن ولائها وخطتها معروفة لدى كل دول غرب وجنوب الباسيفيك. هذا النمو في حجم الميليشيا يعني أن بكين ربما تستهدف مواجهة غير تقليدية مع القوات الأمريكية، على غرار تجربة الحرس الثوري الإيراني مع حاملات الطائرات الأمريكية في الخليج العربي. ويمكن القول بأن هذه الميليشيا ستشكل خطرا كبيرا على الوجود الأمريكي إذا كان بمقدور بكين نقل الخبرة الإيرانية في هذا الصدد.



غواصات صينية تشارك في عرض عسكري في بحر الصين الجنوبي - أبريل 2018 - رويترز

المرحلة الثالثة | تأسيس جديد (2035 - Flight):

في حال تمكن الصين من فك الحصار عليها في المحيط الهادئ عن طريق حسم صراع دون نووي، فإنها ستنتقل نحو المياه الزرقاء وأعالي البحار بشبهية مفتوحة وستمارس أدوارا كانت حصرية في كثير من الأحوال للقوات البحرية الأمريكية مثل تفتيش السفن في عرض البحر وما إلى ذلك، والعمل على الاستفادة من منظومة الأمم المتحدة في تمرير وإقرار هذه الأوضاع.

كما أن لدى الولايات المتحدة خططا طويلة المدى ومفصلة حول ميادين القتال الأمريكية حتى عام 2050، فإنه لدى الصين خططا طويلة لتحقيق السيادة التي تطمح إليها. أهم هذه الاستراتيجيات هي «معيار 2035» وهو مشروع لتحديد سياسات الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيات الناشئة لكنه يتخطى ذلك بكثير فهو يسير على نفس المبدأ الصيني بتقديم الجزرة أولا والعصا لاحقا إن لزم تقديمها.

لكن التفكير في هذه المرحلة دون التفكير في مرحلة المواجهة سيكون أمر غير مجدي وسيقود إلى نتائج مضللة في كثير من الأحيان. فشكل المواجهة التي ستتم بين بكين وواشنطن ستحدد كيف سيكون شكل هذه المرحلة وما هي دينامياتها وسيناريوهاتها المفترضة.

هل توقع الصين بالولايات المتحدة في فخ ثيوسيديس؟

في عام 2012، نشر أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد جراهام أليسون مقالا في الغاينانشيال تايمز يشير فيه إلى أن صراعات القوة المحتدمة بين بكين وواشنطن في المحيط الهادئ ستكون فخا يقع فيه كلا الطرفين في مواجهة دفاعا عن وقاعد النظام الدولي الحالية أو محاولة اقتناص الحق في فرض قواعد جديدة من قبل الصين. وأسمه أليسون بفخ ثيوسيديس في إشارة إلى تحليل المؤرخ اليوناني ثيوسيديس للصراع بين أثينا وسبارطة بأنه كان صراعا محتوما بسبب صعود أثينا الذي أثار خوف سبارطة وأدخل الطرفين في نزاع عسكري طويل. وقاد أليسون فريقا بحثيا في جامعة هارفارد لتحليل المواجهات المشابهة لتلك المواجهة، وكانت النتيجة أنه من بين 16 قوى صاعدة على الساحة العالمية، قررت 12 منها أنه لا سبيل لتحقيق السيادة إلا بالمواجهة العسكرية وقامت بذلك.

في حالة الصين والولايات المتحدة، فإن الصين لا شك ترغب في الحرب إذا كانت ستخدم أهدافها، لكنها عمليا غير قادرة على تلك المواجهة قبل خمس سنوات على الأقل وفقا لخطة الجاهزية القتالية للجيش الصيني 2027 التي أفصحت عنها وزارة الدفاع التايوانية؛ مع تثبيت العوامل الأخرى التي تحيط بالبيئة الاستراتيجية لهذه المواجهة.

عمليا، لا ترغب الولايات المتحدة في تلك الحرب إلا إذا كانت هذه الحرب هي الحل الوحيد لتأكيد سيادتها على النظام الدولي مجددا. ولن تلجأ لهذا الحل، إلا إذا وصل الكساد العالمي إلى درجة عصية على الحل بالحلول الاقتصادية الممكنة. فالموقف الاستراتيجي الأمريكي الحالي يتمتع بالتماسك من الناحية العسكرية وليس عليه أية ضغوط وقتية، حيث أن خطط التسليح الجارية تكفي لتحقيق فوارق ضخمة مع الصين. لكن الأزمة الحقيقية بالنسبة لواشنطن هي أنه في حالة عدم القدرة على حسم الأزمة الاقتصادية العالمية، فإن الصين والولايات المتحدة ستزيد المناوشات بينهما بحثا عن موارد إضافية في الهندوباسيفيك وأفريقيا مما سيسرع من احتمالية الحرب.

لكن كسب حرب بهذه الطريقة لا يعني مطلقا إعلان نظام دولي جديد، بل مجرد استبدال لقوى مهيمنة بأخرى. وفي هذا الإطار، فإن العبء هنا على الصين أكبر من الولايات المتحدة. فالنظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة أصبح معروفا للجميع بكل إيجابياته وسلبياته، لكن الصين حتى هذه اللحظة لم تفصح عن طبيعة النظام الدولي الذي تود تأسيسه فضلا عن القيم والمبادئ التي سيقوم عليها ذلك النظام. وعدم جاهزية بكين في هذه النقطة تبعدها عن تحقيق حلمها بنظام جديد أكثر مما يفعل السلاح والحصار الأمريكي.

كذلك، فإن الصين لن تتمكن من الوصول إلى مبتغاها إلا إذا تجاوز قطاع البحث العلمي الصيني نظيره في الولايات المتحدة. فنظام التصنيع الصيني القائم على اختراق براءات الاختراع الغربية والالتفاف عليها يخلق مساحة كبيرة من العوائد والفوائض لكنه يجعل الصين دائما في موقع التابع وفي زاوية رد الفعل. أن تكون الصين قوى عظمى علمية ليس أمرا اختياريا إذا أرادت الصين أن تتسيد النظام الدولي وتفرض قواعده وأن تعالج الضعف النوعي في هياكل البحث العلمي لديها ومخرجاته التي تتمتع بالكم وليس الكيف على عكس ساحة البحث العلمي الأمريكي والغربي في كثير من الأحيان.

لقد مرت البحرية الصينية بمراحل تطور كثيرة وصولا إلى مرحلة المياه الزرقاء، وتلازمت تلك التطورات المهمة مع تحسينات أخرى في الأسلحة الأخرى وتغييرات هيكلية في الاقتصاد الذي استطاع أن يضعاف من إنتاجه لقرابة خمس عشرين مرة في ثلاثين عاما فقط، حتى أصبحت بكين تنافس على سدة النظام الدولي مع القوة الأمريكية الأضخم في التاريخ الحديث.

لكنه إذا لم تتمكن الصين من جر الولايات المتحدة لمربعات مواجهة خارج التصور الأمريكي، مثل شن حروب بحرية غير تقليدية بغرض الإنهاك عن طريق الميليشيا البحرية، فإن الصين لن تتمكن مطلقا من هزيمة الولايات المتحدة؛ وستكون كل هذه المحاولات من قبل بكين في أفضل الأحوال أشبه بقنابل فراغية تحدث أثرا سريعا ثم تتلاشى. لكن الأسوأ من ذلك أن الولايات المتحدة ستعود للانتقام وسيكون ذلك أقر للانتقام الحلفاء من فيلهيلم الثاني الذي قام بتحديث قواته البحرية وأعلن الحرب الأولى ثم أكلته الحرب.

ورغم الثورة الصناعية والاقتصادية التي أحدثتها الصين في السياق الدولي، إلا أنه ليس باليسير تغيير قواعد نظام دولي ناهز الثمانية عقود. لذلك، فإن الطريق أمام بكين ليس مليئا بالورود، فأمامها الكثير من خطط التحديث التي يجب تنفيذها وحلفاء محتملون يتعين عليها خطب ودهم؛ فضلا عن الإفصاح عن رؤاها وقيمها وفلسفتها التي ترى فيها الحل الناجع للأزمات التي تواجه الإنسان المعاصر. ولن تتمكن الصين من تخطي العقبة الأمريكية بدون توافر ملامح القيادة والإلهام، وحينئذ، يمكن الحديث عن صين جديدة تقود نظام دولي جديد. ⑤



STRATEGIECS[®]

THINK TANK

f in    @strategiecs
www.strategiecs.com